العلاج الأول

علاجك بين يديك

" عشارية القرآن "

جمع وإعداد
مكتبة خير أمة الإسلامية

مكتبة خير أمة الإسلامية

المقدمة

والعلاج الأول

عشارية القرآن

جمع وإعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : 103] ، وزكاة القلب هي مقصودنا وهدفنا في هذا الباب.

﴿الدواء على الرف ، والشفاء في متناول اليد ، وما لم يقع السهم في مقتل فالعلاج في الإمكان.

﴿أنت من تصنع دواءك في البداية ، ثم دواؤك هو من يشفيك بإذن الله في النهاية.

﴿لا يوجد إنسان فاسد ، بل يوجد إنسان يجهل مواطن الصلاح فيه.

﴿كل مريض ليس له هدف مثل سفينة ليس لها رُبَّان كلاهما ينتهي به الأمر إلى القاع.

﴿احذر : كيف ترجو الشفاء دون أخذ الدواء؟! كيف يدوم اللهب دون حرق الحطب؟! كيف يكون علم دون وجود عمل؟! وهل يُسمَّى العلم في هذه الحالة علما؟! قال الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ [الأنعام : 91:]

"عُلِّمتم فعلِمْتُم ولم تعملوا ، فوالله ما ذلكم بعلم. "

﴿إياك أن تقول حاولت وفشلت ، فكلمة المحاولة هنا مرادفة لكلمة الكذب لأنها تبرير للفشل وتقديم للعذر ورفع لراية الاستسلام أمام أول هجمة من هجمات الشيطان.

﴿إن لم تتناول دواء فلا تشرب سما ، إن لم تبْنِ فلا تهدم ، إن لم تُطِع فلا تعص ، فإن عصتك نفسك في الطاعة فلم تطاوعك ، فاعصها أنت في المعصية ولا تطاوعها.

﴿ورود الإمداد بحسب الاستعداد : وهي حكمة عطائية تعني أن كل جرعة مقدارها يختلف على حسب استعداد صاحبها ، وتهيئته لقلبه ، وحالة روحه ، ومن قال لا أستطيع تناول جرعة دواء فلن ذلك يستطيع بالفعل ؛ لأنه خسر المعركة مع نفسه قبل أن تبدأ معركته مع عدوه ، فوفَّر على

الشيطان مشقة اللقاء ، وأسعده باستعداده الهزيمة.

﴿المجتمع محراب التعبد ، والأصل في المؤمن أن يكون غُدُوه ورواحه لله كما في آية الأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾]الأنعام : 162 [، وعلى هذا فالثواب المترتب على إتقان عمل وقضاء مصالح الخلق ليس بعيدا عن ثواب أداء عبادة واجبة أو صلاة راتبة.

﴿مَرَّ رجلٌ على حذيفة بن اليمان τ وحوله فتيانٌ جلوس ، فقال : ما لهؤلاء الأحداث حولك؟! فقال " : وهل الخير إلا في الشباب؟! أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يذكرهم يُقالُ لَهُ إِبْراهِيْمُ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ فِتيَةٌ آمَنوا بِرَبِّهِمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ قَالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا ﴾ ، وإن الله لم يبعث نبيا إلا وهو شاب. "

أخي .. قد تُشفى عند كبرك ولكنه شفاء بعد ذهاب الصحة وزوال العافية ، وعندها تطلب العمل في موسم الخريف بعد أن تساقطت أوراق العمر وذبلت أزهاره ، فلا تسعفك قوتك وتخونك صحتك ، فتعرف عندها قيمة شبابك المنقضي ، وثمن عمرك الضائع ، لتردِّد في توجع قصيدة رثاء مع الشاعر الذي ما تاب إلا بعد ما شاب ، وما أفاق حتى بلغت التراق ، فقال باكيا:

مرَّ الشبـاب فلم أقدِر أرجِّعه ولم أُحيِّه إلا بعد ما انصرفا

والمرء يجهل قدر الشيء يُمكِنه حتى إذا فاته إمكانه عرفا

ويحك أخي الشاب .. تقدَّم واعصر عمرك عصرا ، واستخلص منه كل لحظة فارغة ، وقدِّم لنفسك من البر ولو ذرة ، واذكر أن الأنفاس أمانات وودائع لديك ، واعلم كذلك أن اليوم فيه مئات فرص الشفاء وهي تَمُرُّ بك مَرَّ السحاب تنتظر براعة المقتنص ويقظة النبيه ، فاربح نفسك اليوم باستغلال جميع أوقاتك وإمكاناتك قبل أن تُنزع غدا إلى قبرك.

أتُنفِق العمرُ في الدنيا مجازفةً والمال يُنفق فيها بالمـوازين

﴿قال ابن القيِّم وهو يُشرِّفنا بمشاركته في تقديم هذا الباب:

"ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء ، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية

والروحانية ، وقوة القلب واعتماده على الله ، والتوكل عليه ، والالتجاء إليه ، والانطراح والانكسار بين يديه ، والتذلل له ، والصدقة ، والدعاء ، والتوبة والاستغفار ، والإحسان إلى الخلق ، وإغاثة الملهوف ، والتفريج عن المكروب ، فإن هذه الأدوية قد جرَّبتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها ، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه ، وقد جرَّبنا نحن وغيرنا من هذا أمورا كثيرة ، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية. "

جرعات الدواء

القاعدة هنا : من صبر على مرارة الدواء عوفي ، وأمامك الآن عشرة جرعات لا تدري في أيها الشفاء ، لذا ينصحك الأطباء أن تجرِّبها كلها ، ولا خطورة من زيادة أي جرعة بل هي على العكس : مستحبة وأنفع إن شاء الله

قال الله عز وجل : ﴿ أفلاَ يَتَدَبَّرُوْنَ القُرْآنَ ﴾]النساء : 82 [إنه الاستفهام التعجبي الاستنكاري من عدم تناول الدواء مع توفره وعظيم أثره وسرعة مفعوله ، فلم يكتف الله بإنزال الدواء فحسب بل أنزل هذه الآية لحثِّ الناس على تناوله ، ووالله لولا ذلك لكلَّت الألسُن عن تلاوته وغفلت القلوب عن أنواره .. ألا ما أرحم الله بنا وأحرصه علينا.

يقول سيد قطب عن هذه الآية :

"ويتساءل في استنكار : ﴿ أفلاَ يَتَدَبَّرُوْنَ القُرْآنَ ﴾ ، وتدبر القرآن يزيل الغشاوة ، ويفتح النوافذ ، ويسكب النور ، ويحرِّك المشاعر ، ويستجيش القلوب ، ويخلص الضمير ، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير ﴿ أمْ عَلَى قُلُوبٍ أقْفَالُهَا ﴾ فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور . " !

بل يرى ابن القيِّم قراءة القرآن أنفع الأدوية وأنجعها في علاج القلب ، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعمَّ ولا أنفع ولا أعظم في إزالة الداء من القرآن ، فقال في كلام جليل كأنما أوحي به إليه :

"وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر ، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين ، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله ، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه . "

ويرى ابن القيم أيضا أن كل ما على المسلم أن يفعله لعلاج قسوة قلبه : أن يقبل على القرآن فيقول " : ملاك ذلك كله : أمران : أحدهما : أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة ، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها ، وتدبر وفهم ما يراد منه ، وما نزل لأجله ، وأخذ نصيبك من كل آياته ، تنزلها على داء قلبك ، فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى . "

ولأهمية دواء القرآن داوم عليه الصالحون حتى في أحلك الظروف ، فلما وقعت في رجل عروة بن الزبير الآكلة ، فقال له الوليد بن عبد الملك :

اقطعها. قال : لا ، فترقَّت إلى ساقه ، فقال الوليد : اقطعها وإلا أفسدت جسدك ، فقُطعت بالمنشار وهو يسبِّح لم يمسكه أحد ، فقال : لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يدع وِرْدَه تلك الليلة !!

ولأهمية هذا الدواء حافظوا عليه حتى آخر لحظات الحياة ، وتشبثوا به وهم يودِّعون الدنيا ، لعلمهم أنه ليس بعدها إلى هذا الدواء سبيل ، وليس في الدار المنتقَل إليها قطرة واحدة منه ، وهذا ما فهمه الجنيد وعمل بمقتضاه.

قال أبو محمد الجريري : كنتُ واقفا على رأس الجنيد في وقت وفاته ، وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فقلت : له يا أبا القاسم .. ارفق بنفسك قال " : يا أبا محمد .. ما رأيتُ أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو ذا تُطوى صحيفتي . "

أيكم سجد!!

ويكمل شهيد القرآن سيد قطب مشاركته في كتابنا ويحكي تأثره بسورة النجم محاولاً معرفة سِر سجود المشركين بعد قراءة الرسول ε لهذه السورة وهم على شركهم كما ورد في الحديث الصحيح فيقول :

"كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب يتلو سورة النجم ، فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم ، وكان صوت القارئ مؤثرًا وهو يرتِّل القرآن ترتيلاً حسنًا .

وشيئًا فشيئًا عشت معه فيما يتلوه ؛ عشت مع قلب محمد ε في رحلته إلى الملأ الأعلى.

عشت معه وهو يشهد جبريل – عليه السلام – في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها ؛ ذلك الحادث العجيب المدهش حين يتدبره الإنسان ويحاول تخيله! وعشت معه وهو في رحلته العلوية الطليقة عند سدرة المنتهى وجنة المأوى.

عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي ، وتحلق بي رؤاي ، وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي ، وتابعته في الإحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة وعبادتها وبنوتها وأنوثتها إلى آخر هذه الأوهام الخرفة المضحكة ، التي تتهاوى عند اللمسة الأولى .

ووقفت أمام الكائن البشري ينشأ من الأرض ، وأمام الأجنة في بطون

الأمهات ، وعلم الله يتابعها ويحيط بها ، وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعة في المقطع الأخير من السورة .. الغيب المحجوب لا يراه إلا الله ، والعمل المكتوب لا يِنِدُّ ولا يغيب عن الحساب والجزاء ، والمنتهى إلى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد ، والحشود الضاحكة والحشود الباكية ، وحشود الموتى ، وحشود الأحياء ، والنطفة تهتدي في الظلمات إلى طريقها ، وتخطو خطواتها وتبرز أسرارها فإذا هي ذكر أو أنثى ، والنشأة الأخرى ، ومصارع الغابرين ، والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشَّى !

واستمعت إلى صوت النذير الأخير قبل الكارثة الداهمة : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم : 56-58 .]

ثم جاءت الصيحة الأخيرة ، واهتز كياني كله أمام التبكيت الرعيب : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم : 59-61 .]

فلما سمعت : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ..كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقًا إلى أوصالي ، واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي لم أملك مقاومته ؛ فظل جسمي كله يختلج ، ولا أتمالك أن أثبته ، ولا أن أكفكف دموعا هاتنة ، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة! وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح ، وأن تعليله قريب ؛ إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ، ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة ، لم تكن هذه أول مرة أقرأ فيها سورة النجم أو أسمعها ، ولكنها في هذه المرة كان لها هذا الوقع ، وكانت مني هذه الاستجابة ، وذلك سر القرآن ؛ فهناك لحظات خاصة موعودة غير مرقوبة تمس الآية أو السورة فيها موضع الاستجابة ، وتقع اللمسة التي تصل القلب بمصدر القوة فيها والتأثير ؛ فيكون منها ما يكون . " !

قلوب المستمعين ثلاثة

قال ابن القيِّم :

"والناس ثلاثة : رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له فهذا ليست هذه الآية

ذكرى في حقه.

الثاني : رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة : إما لعدم ورودها أو لوصولها إليه ، ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها ، فهو غائب القلب ليس حاضرا ، فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث : رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه ، فهو شاهد القلب مُلق السمع ، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة ، فالأول : بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر ، والثاني : بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه فكلاهما لا يراه ، والثالث : بمنزلة البصير الذي قد حدق إلى جهة المنظور وأتبعه بصره وقابله على توسط من البعد والقرب ، فهذا هو الذي يراه . "

ويكمل بنود هذا المشروع الإمام الآجري في كتابه "آداب حملة القرآن "ويستعرضها قائلا:

"فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن ، فكان كالمرآة يرى بها ما حَسُن من فعله وما قَبُح منه ، فما حذَّره مولاه حذِره ، وما خوَّفه به من عقابه خافه ، وما رغَّب فيه مولاه رغِب فيه ورجاه ، فمن كانت هذه صفته أو قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ، ورعاه حق رعايته ، وكان له القرآن شاهدا وشفيعا وأنيسا وحِرْزا ، ومن كان هذا وصفه نَفَع نفسه ونَفَع أهله ، وعاد على والديه وعلى ولده كلُّ خير في الدنيا والآخرة."

لذا لابد لك أخي المريض أن تُعطي لهذا الكتاب قدره ، وتنظر إليه من اليوم نظرة مختلفة ، وتعامله بغير ما اعتدت عليه من قبل ، وحين ينير الله بصيرتك ويرفع الغشاوة عن قلبك عندها فحسب ترى ما رأى محمد إقبال من أن القرآن مفتاح تغيير العالم بأسره ، واسمعه حين يقول:

"إنه ليس بكتاب فحسب ، إنه أكثر من ذلك ، إذا دخل في القلب تغيَّر الإنسان ، وإذا تغيَّر الإنسان تغيَّر العالم. "

وحين تُحرَم هذه البصيرة تفقد مصدر قوتك وبوصلة هدايتك ويصبح "لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة ، فتُقرأ عليك سورة يس لتموت بسهولة ،

فواعجبا! قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة يُتلى الآن لتموت براحة وسهولة. "

.1افهم ما تقرأ:

إن معرفة الهدف من قراءة كتاب الله عز وجل هو من أهم شروط العلاج ، ونستطيع أن نوجز هذا الهدف في كلمة واحدة ألا وهي التدبر ، والتدبر في اللغة هو تأمل دُبُر الأمر أي عاقبته ، وتدبر القرآن هو تحديق القلب في معانيه ، وجمع الفكر على معرفته وتفهمه ، وذوبان معانيه في الروح فتسري في الدم إلى القلب فتشفيه ، وهو الغرض من إنزاله. قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾]ص : 29 [، وتدبر القرآن يقف في مقدمة أدوية علاج القلب بلا منازع ، كما ينص على ذلك صريح القرآن : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِيْنَ ﴾ [الإسراء : 82]

فلو داواك كل طبيب داءٍ بغير كلام ليلى ما شفاكا

والقرآن شفاء لما في الصدور أي دواء للقلوب من أمراضها التي هي أشد من أمراض الأبدان كالشك والنفاق والحسد والحقد وأمثال ذلك ، لكن .. كيف يكون القرآن شفاء ونحن لا نعرف معناه ، وهل يحدث به علاج دون فهم فحواه ، فمعرفة معاني القرآن إذن هي أول خطوة في الطريق بلا شك. ولا يُجنى جناه دون معرفة معناه ، فكم من الناس يقرأ ولا يزيد إيمانا ولا يتغير سلوكا ولا ينصلح بمقدار ذرة ، مع أن الآية الواحدة كانت تخلق من الصحابي خلقا آخر.

إنك لتجد عشرات الملايين في رمضان بين أيديهم المصاحف يقرؤون القرآن ويسعون في ختمه مرة بعد مرة ، لكن هل تجد عُشرهم أو نصف العشر منهم يفهمون ما يقرؤون أو يتدبرون في ما يؤمرون؟! ولو حدث وأن أعطيت رجلا جريدة يقرؤها ثم طلبت إليه بعد ساعة أن يُخبرك بأهم عناوين الأخبار ، فقال : لا أدري ، هل تراه قد قرأ أم تظنه كاذبا في دعواه؟! وهل قراءة القرآن هي تحريك الألسنة بالأحرف والكلمات أم أنها فهم ما توصي به الأحرف والكلمات؟ !

ولمزيد الفهْم لما تقرأ تعلم مناسبة نزول الآيات ، وفي ذلك يقول سيد

قطب:

"ولا يفهم النصوص القرآنية حق الفهم إلا من يواجه مثل هذه الظروف التي واجهتها أول مرة ؛ هنا تتفتح النصوص عن رصيدها المذخور ، وتتفتح القلوب لإدراك مضامينها الكاملة ، وهنا تتحول تلك النصوص من كلمات وسطور إلى قوى وطاقات ، وتنتفض الأحداث والوقائع المصورة فيها ؛ تنتفض خلائق حية موحية ، دافعة ، دافقة ، تعمل في واقع الحياة ، وتدفع بها إلى حركة حقيقية في عالم الواقع وعالم الضمير . "

ومعرفة المعاني هي نصيب العقل في المهمة الثلاثية المشتركة بينه وبين اللسان والقلب ، والتي تستهدف سبر أغوار كتاب الله والتداوي به ، كما سبق ووصف ذلك أبو حامد الغزالي فقال :

"وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظُّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظُّ العقل تفسير المعاني ، وحظُّ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار ، فاللسان يُرتِّل والعقل يترجم والقلب يتعظ . "

الحسن يشتكي أهل زمانه!!

قال الحسن " : إن هذا القرآن قد قرأه عبيدُ وصبيان لا علم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قِبَلِ أوله. قال الله عز وجل : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾]ص : 29 [، وما تدبر آياته إلا اتباعه ، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قد قرأتُ القرآن كله فما أَسْقِط منه حرفاً واحداً ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خلُق ولا عمل ، حتى إن أحدهم ليقول : والله إني لأقرأ السورة في نَفَس ، لا والله ما هؤلاء بالقُرَّاءِ ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورعة ، ومتى كانت القراءة هكذا؟! لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء . "

.2التكرار يورث الاعتبار:

عن إبراهيم بن الأشعث قال " : سمعتُ فضيلا يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد ، وهو يبكي ويردد هذه الآية : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾]محمد : 31 [وجعل يقول :

ونبلو أخباركم ، ويردد وتبلو أخبارنا ، إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا ، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ، ويبكي . "

وكانت هذه عادة السلف يُردِّد أحدهم الآية إلى الصبح ، فيقرأ القرآن بتفكُّر حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه ، كررها ولو مائة مرة ، بل ولو استغرق الأمر معك الصلاة كلها ، فقراءة آية بتفكُّر وتفهم خير من ختم القرآن كله بغير ذلك ، وهذه القراءة أنفع للقلب وأرجى لزوال الداء وحدوث الشفاء ، وبالتالي أدعى إلى بلوغ ذروة الإيمان وتذوق حلاوة القرآن.

وتسألني : لماذا التكرار؟!

وأقول : لأنك لا تدري متى يُفتح الباب ، ومتى ينشرح الصدر والفؤاد ، ولعل ساعة رضاه عنك في متناول يدك وأنت لا تشعر ، ولعل دموع خشيتك محبوسة تنتظر آية منك تُتلى في خشوع لتنهمر ، أو خلوة في وجل لتتفجر ، وتسألني متى وأقول : ﴿ عَسَى أَنْ يَكوْنَ قَرِيْباً ﴾ ، وتطلب مني الرد : في أي ليلة هذا فأقول : ﴿ عِلْمُهَاْ عِنْدَ رَبِّيْ فِيْ كِتَاْبٍ ﴾ ، وتُلِحُّ في السؤال : من المُوَفَّق لذلك فأقول : ﴿ اللهُ يَجْتَبِيْ إِلَيْهِ مَنْ يَشاْءُ وَيَهْدِيْ إِلَيْهِ مَنْ يُنِيْبُ ﴾

فهم هذا جيدا أبو سليمان الداراني فأوصاني وأوصاك قائلا : "فإذا وجدت قلبك في القيام فلا تركع ، وإذا وجدته في الركوع فلا ترفع " .

3.أنت المخاطب :

عن ثابت البناني أنه قرأ : ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ ، فقال " : تأكله إلى فؤاده وهو حي ، لقد تبَلَّغ فيهم العذاب " ، ثم بكى وأبكى من حوله ، لكن ألم تسأل نفسك : لم خَصَّ الأفئدة بالذكر؟ !

والجواب : لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه ، أي أنه في حال من يموت من شدة الألم لكن حيل بينه وبين الموت ، وهذا هو الذي أبكى ثابتا ، وحريٌّ به أن يبكيك .

قال ابن أبي ذئب " : حدَّثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة وقرأ عنده رجل : ﴿ إِذا أُلْقُوْا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبوْراً ﴾ [الفرقان : 31]، فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلاه نشيجه ، فقام من

مجلسه ودخل بيته وتفرَّق الناس . "

واسأل نفسك ثانية : لماذا بكى عمر حتى علا نشيجه؟! والجواب : لأنه استشعر أن المخاطب هو عمر ، والمُلقى في النار عمر ، والداعي في ثبور عمر ، والباكي في جهنم عمر ، وهذا المكان الضيِّق المذكور في الآية محجوزٌ باسم عمر ، بكيتَ يا خامس الخلفاء ودرة الأتقياء من آية ما أبكت أكثرنا ، ولو تدبرها المرء منا لتحول الضحك فيه إلى بكاء ، وامتلأت عينه دمعا من دماء ، ألا ما أعظم العقوبة التي ضُرب بها القلب القاسي ، ألا ما أشد مصيبة غير المتدبِّرين ، يحسبون الله يخاطب غيرهم ولعل الله لا يعني بهذه الآية غيرهم .

عن مُزاحِم بن زُفَر قال " : صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقرأ حتى بلغ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدْ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴾ ، بكى حتى انقطعت قراءته ، ثم عاد فقرأ الحمد لله . "

واسأل نفسك ثالثة : لماذا بكى سفيان؟! ولعلك تعرف ما أبكاه حين تفهم بحق معنى هذه الآية ، وتتدبر فيها كما سبق وتدبَّرها ابن القيِّم فقال:

"فأسعد الخلق أهل العبادة والاستعانة والهداية إلى المطلوب ، وأشقاهم من عدم الأمور الثلاثة ، ومنهم من يكون له نصيب من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ونصيبه من ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ معدوم أو ضعيف ، فهذا مخذول مهين حزين ، ومنهم من يكون نصيبه من ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قويا ونصيبه من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ضعيفا أو مفقودا ، فهذا له نفوذ وتسلط وقوة ، ولكن لا عاقبة له ، بل عاقبته أسوء عاقبة ، ومنهم من يكون له نصيب من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ولكن نصيبه من الهداية إلى المقصود ضعيف جدا ، كحال كثير من العُبَّاد والزُّهاد ، الذين قلَّ علمهم بحقائق ما بعث الله به رسوله ε من الهدى ودين الحق . "

يا ليتنا عقلنا عن الله ولو حرفا .. ليتنا نقترب من الله ولو شعرة .. ليتنا نعيش في أنواره ولو لحظة.

4.تذوق حلاوة المناجاة

وهي وصية النبي » : ε إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه ، فلينظر

كيف يناجيه؟ . «

وهذه الوصية هي العلامة الفارقة بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة كما في توصيف يحيى بن معاذ " : أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني . "

وسُمِّيت : مناجاة من جهة قيام العبد بالذكر وتلاوة القرآن من جهة ، ومن جهة الدعاء وسؤال الله من جهة أخرى ، فيُسرُّ العبد إلى ربه بحاجته ويبوح إليه بما أهمه وأحزنه ، وقد يأتي الرد من الرب على العبد كلاما كما في حديث الفاتحة ، وقد يأتي أفعالا : حبا ولطفا ، أو هداية وبرا ، أو فتحا ويسرا ، أو رزقا وبركة ، أو فرحا وسعادة لا توصفان ، ولهذا سماها يحيى بن معاذ بالوليمة حين قال " : كم بين من يريد الوليمة للوليمة وبين من يريد حضور الوليمة ليلتقي الحبيب في الوليمة. "

وقوله « كيف يناجيه » تُلقي في القلب وجوب التعظيم والتبجيل ، وموافقة القلب اللسان ، والإقبال على الله بالكلية ، وتفريغ القلب له ولذكره ، وإجلال كلامه عند تلاوته ، وضرورة تدبره ، فلا يليق لعاقل أن يتلقى شكر هذه النعمة الجليلة التي هي مناجاة ملك الملوك بشغل قلبه بشيء من متاع الدنيا الفاني ، فاطلب قلبك قبل الصلاة ؛ فإن وجدته فكبِّر وإلا فسلِّم!! وكأن القرآن يصيح فيك ويقول : فرِّغ قلبك من غيري أسكنه.

قال الطيبي " : شبَّه العبد وتوجهه إلى الله تعالى في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار وكشف الأسرار واستنزال الرحمة مع الخشوع والخضوع بمن يناجي مولاه ومالكه ، فمن شرائط حسن الأدب أن يقف محاذيه ، ويُطرق رأسه ، ولا يمُدُّ بصره إليه ، لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض . "

ويلزم لهذه المناجاة الهدوء والسكون وعدم التشويش ، لذا أخرج الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ε خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : « إن المصلي يُناجي ربه فلينظر بما يُناجيه ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن . »

ويلزم لهذه المناجاة لزوم الأدب واستحضار عظمة الموقف. قال » : ε إن أحدكم إذا كان في صلاته فإنه يناجي ربه ، فلا يبزقن بين يديه ولا عن

يمينه ، ولكن عن يساره وتحت قدمه . «

ومن معاني المناجاة كذلك الحب والوداد والقرب والوصال ، ومن أنس بمولاه استوحش ممن سواه ، لذا قال عبد الله بن مسعود " τ : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يُحِب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسولهε ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله. " ε

ولذا "كـان السلـف يستشعرون هذا المعنى وهم يقرأون القرآن حتى أنهم كانوا يتلقونه تلقي الغائب الغريب لرسالة جاءت على شوق من الحبيب " ، ولذا كانت الليالي الطوال تمر عليهم دون أن يشعروا ، بل كان أكثر ما يزعجهم طلوع الفجر ، وما أقصر ليلة مملوءة بالسرور.

إن الليالي للأنام مناهل تُطوى وتُنشَر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل τ إذا نُشِر المصحف غُشِي عليه ويقول " : هو كلام ربي .. هو كلام ربي. "

قُبلة الملك

ويلزم لهذه المناجاة تعطير الفم لملاقاة الحبيب ومناجاة المِلِك ومقابلة الملَك ، وهذا سِرٌّ من أسرار الأمر بالسواك ، فعن علي بن أبي طالب τ أنه أمر يوما بالسواك قائلا : قال النبي » : ε إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي قام الملك خلفه ، فسمع لقراءته ، فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه ، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فطَهِّروا أفواهكم للقرآن . «

وامتثل قتادة الأمر على نحو عجيب فقال " : ما أكلتُ الكرَّاث منذ قرأت القرآن . "

رقَّة قلب

قال الأصمعي " : أقبلتُ ذات مرة من مسجد بالبصرة إذ طلع أعرابي جِلف جاف على قعود له متقلِّدا سيفه وبيده قوسه ، فدنا وسلَّم وقال : ممن الرجل؟ قلت : من بني أصمع. قال : أنت الأصمعي؟ قلت : نعم. قال : ومن أين أقبلت؟ قلت : من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال : وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت : نعم. قال : فاتلُ عليَّ منه شيئا ، فقرأت : ﴿

وَالذَّارِياتِ ذَرْوَاً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ فقال : يا أصمعي حسبك ، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطَّعها بجلدها ، وقال : أعنِّي على توزيعها ، ففرَّقناها على من أقبل وأدبر ، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرَّحل وولَّى إلى البادية وهو يقول : ﴿ وَفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدونَ ﴾ ، فمقَتُّ نفسي ولُمتها ، ثم حججت مع الرَّشيد ، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوتٍ رقيق ، فالتفَتُّ فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحل مُصفرٌّ ، فسلَّم عليَّ وأخذ بيدي فقال : اتلُ عليَّ كلام الرحمن ، وأجلسني من وراء المقام فقرأت : ﴿ وَالذَّارِياتِ ذَرْوَاً ﴾ حتى وصلتُ إلى قوله تعالى ﴿ وَفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدونَ ﴾، فقال الأعرابي : لقد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقا ، وقال : وهل غير هذا؟ قلت : نعم .. يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ فصاح الأعرابي وقال : يا سبحان الله .. من الذي أغضب الجليل حتى حلف!! ألم يصدِّقوه في قوله حتى ألجأوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه . "

.5الليل أحلى:

قال عمر بن الخطاب : τ قال رسول الله » : ε من نام عن حزبه أو عن شيء منه ؛ فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِب له كأنما قرأه من الليل . « وفي هذا دلالة على أن الأفضل في قراءة ورد القرآن قراءته بالليل ، وكأن القرآن تعهد أن لا يبوح لأحد بما بين دفتيه من أسرار إلا على ضوء النجوم حين تتفتح الحقائق في غيبة الأهواء الدنيوية والأشغال المعيشية والسموم الشيطانية في أحضان سجدة أو سحابة عَبرة أو سريان رجفة من خشية الله تعالى !!

قال النووي " : وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل ، فإن الإسراء برسول الله ε كان ليلا . "

ويزيدك ابن الجوزي وهو يدبِّج عبارة من عبارات المحبين فيقول " : ظلمة الليل للتواصل أهنى من ضياء النهار عند المحب ، وصلهم سِرُّهم ، وما أحوج

السِرَّ إلى سِتره بسخف الحُجُب . "

6.الصوت الحسن:

وعن أبي هريرة τ أنه سمع النبي ε يقول : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن » ، وقال » : ε ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به . «

والمراد التلذذ به كما يستلذ أهل الطرب بالغناء ، ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيرا في رقة القلب وإجراء الدمع ، وكان بين السلف خلاف في جواز قراءة القرآن بالألحان ، أما تحسين الصوت وتقديم حَسَن الصوت على غيره فلا نزاع بينهم على جوازه.

ولذا أحب النبي ε أن يسمع صاحب الصوت الحسن ، وليس صوت أحسن من صوت عبد الله بن مسعود τ يتلو عليه صدر سورة النساء ، فسمع منه ε وبكى لتلاوته حتى اخضلت لحيته ، وورث ابن مسعود هذه الطريقة وسار على نفس النهج وأحب ما أحب حبيبه ، فكان يحب أن يسمع القرآن من غيره ، فعن علقمة بن قيس قال : كنت رجلا قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن ، فكان عبد الله بن مسعود يُرسل إلي فأقرأ عليه ، قال : فكنتُ إذا فرغت من قراءتي قال : زدنا من هذا ؛ فإني سمعت رسول الله ε يقول : « حسن الصوت زينة القرآن . «

7.التلذذ بالثواب:

إن معرفة ثواب الأعمال يهيئ القلب لاستقبالها باطمئنان وحب وشوق ، واسمع لتشتاق:

عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله » : ε أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟! » قلنا : نعم. قال : « فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات سمان عظام . «

وعن أبي سعيد الخدري τ قال : قال رسول الله » : ε يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه. «

وعن جابر τ قال : قال رسول الله » : ε القرآن شافع مُشفَّع ، وماحل مصدق ،

من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه قاده إلى النار . «

وماحِل مُصَدَّق أي خصم مجادل مُصدَّق ، من قولهم : محل بفلان إذا سعى به إلى السلطان ، فمن اتبع القرآن وعمل بما فيه كان شافعا له مقبول الشفاعة ، لكنه كذلك مصدق فيما يرفع من مساوئ العبد إذا ترك العمل به .

الدموع : كنز المرأة الثمين

ولأن النساء شقائق الرجال فإليكن أيها المريضات هذا المثال لتنسجن على المنوال وتدركن المنال بإذن الله. قال القاسم " : كنتُ إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها ، فغدوتُ يوما فإذا هي قائمة تسبِّح وتقرأ : ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور : 27]، وتدعو وتبكي وتُرددُها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي . "

يا أختاه .. الدواء منك قريب وفي متناول يدك ، فقد خلقك الله أعذب مشاعرا وأرق عواطفا ، فدمعتك أقرب من دمعة الرجل بكثير ، وهذا هو كنزك الثمين وأغلى حليك : « عينان لا تمسهما النار أبدا : عين بكت من خشية الله ، . « ...

.8ما المطلوب مني:

وصف أبو بكر الآجري [ت : 360] صفات حامل القرآن في كتابه أخلاق أهل القرآن:

"ليس همته متى أختم السورة ، همته متى أستغني بالله .. متى أكون من المتقين .. متى أكون من المحسنين .. متى أكون من المتوكلين .. متى أكون من الخاشعين .. متى أكون من الصابرين .. متى أكون من الصادقين .. متى أكون من الخائفين .. متى أكون من الراجين .. متى أزهد في الدنيا .. متى أرغب في الآخرة .. متى أتوب من الذنوب .. متى أعرف النعم المتواترة .. متى أشكره عليها .. متى أعقل عن الله الخطاب .. متى أفقه ما أتلو .. متى أغلب نفسي على ما تهوى .. متى أجاهد في الله حق الجهاد .. متى أحفظ لساني .. متى أغض طرفي .. متى أحفظ فرجي .. متى أحاسب نفسي .. متى أتزود ليوم معادي .. متى أكون عن الله راضيا .. متى أكون

بالله واثقا .. متى أكون بزجر القرآن متعظا .. متى أكون بذكره عن ذكر غيره مشتغلا .. متى أحب ما أحب .. ومتى أبغض ما أبغض .. متى أنصح لله .. متى أخلص له عملي .. متى أُقصِّر أملي .. متى أتأهب ليوم موتي وقد غُيِّب عني أجلي .. متى أعمر قبري .. متى أفكر في الموت وشدته .. متى أفكر في خلوتي مع ربي .. متى أفكر في المنقلب .. متى أحذر مما حذرني منه ربي. "

فإذا لم تأخذ بنصيحة الآجري وعمي قلبك عن أوامر الله في كتابه كنت " مثل العاصي إذا قرأ القرآن وكرره ، كمثل من كرر كتاب الملك وأعرض عن عمارة مملكته وما أمر به في الكتاب ، فهو مقتصر على دراسته ، مخالف أوامره ، فلو ترك الدراسة مع المخالفة كان أبعد من الاستهزاء واستحقاق المقت" .

هذا وإلا كنت من المغرورين الذين سرد حكايتهم ابن قدامة ، ولم يحمله اختصاره وإيجازه في كتابه مختصر منهاج القاصدين أن يغفل ذكرهم فانبرى يفضحهم :

"وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن ، فهم يهذُّونه هذا ، وربما ختموا فى اليوم مرتين ، فلسان أحدهم يجرى به وقلبه يتردد فى أودية الأماني ، ولا يتفكر فى معاني القرآن ولا يتعظ بمواعظه ، ولا يقف عند أوامره ونواهيه ، فهذا مغرور يظن أن المقصود من القرآن التلاوة فقط ، ومثال ذلك مثال عبد كتب إليه مولاه كتابا يأمره فيه وينهاه ، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ، بل اقتصر على حفظه وتكراره ، ظانا أن ذلك هو المراد منه ، مع مخالفته أمر مولاه ونهيه . "

وهؤلاء مع إتقانهم للتلاوة ضيَّعوا على القلب الحلاوة ، وبرعوا في نقل الرسالة وما برعوا في العمل بما جاء في الرسالة ، أهل تجويد القراءة لا تجويد العمل ، ولما قرأ رجل سورة من القرآن عند عمر بن عبد العزيز وعنده رهط من هؤلاء قال أحدهم : لحَنَ ، فقال له عمر ": أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن . "

9.فيم الاستعجال:

قال ابن القيم :

"كان له حزب يقرؤه ولا يُخِل به ، وكانت قراءته ترتيلا لا هذًّا ولا عجلة ، بل قراءة مفسرة حرفا حرفا ، وكان يقطع قراءته آية آية ، وكان يمد عند حروف المد فيمد الرحمن ويمد الرحيم ، . "

الوقوف عند الآيات : عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان الرسول (ε يقطع قراءته آية آية (﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ثم يقف ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف . "

وما كان رسول الله يفعل إلا أنه ينفذ الأمر الرباني الذي صدر عليه ونُشِر على الناس أجمعين : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : 106] أي مهل وتؤدة وتأن ، فإنه أيسر للحفظ ، وأعون على الفهم.

واقتفى عبد الله بن عباس τ الأثر شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فعن ابن أبي مليكة قال " : سمعت ابن عباس من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل قام شطر الليل ، ويرتل القرآن يقرأ حرفا حرفا ، ويُكثِر في ذلك من النشيج والنحيب. "

حرفا حرفا دون عجلة حتى يتدبر ، ومتى تدبر فهم ، ومتى فهم نقل إلينا ما فهم ، فكان كمن يترجم لنا ما غمض علينا من معاني القرآن حتى لُقِّب بترجمان القرآن ، فهل علمت الآن كيف بلغ ابن عباس ما بلغ؟

الشيطان يسرق!!

وهذا الداء هو ما سبق وحذّرك منه النبي ε فقال : « هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء » ، فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يا رسول الله .. وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرئه أبناءنا ويُقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ، فقال : « ثكلتك أمك يا زياد!! إن كنتُ لأعُدُّك من أفقه أهل المدينة!! هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ، فماذا يُغني عنهم؟ . « !

إنها قراءة المتعجِّلين منكم ، يريد الشيطان منك أن تمر على الآية بسرعة فيفوتك خيرها ، وتُحرم بركتها ، ولا تقطف ثمرتها ، فلا تزيد بها إيمانا ، أو تبكي وجلا ، أو تُمضي عملا ، أو تقدِّم جهادا ، ، فهل ستتركه يفعل ذلك بك وأنت المريض السقيم وأحوج ما تكون اليوم إلى الدواء؟!

10.خوف الطرد يطاردك:

قال رسول الله ε في الحديث الذي رواه عنه أبو مالك الأشعري » : τ والقرآن حُجَّة لك أو عليك . «

قال النووي " : فمعناه ظاهر ، أي : تنتفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك . "

في غيبة تدبرك : تكون قراءتك دليل إدانتك ، فما أشبه قراءة القرآن بصحيفة تعليمات تنتظر التنفيذ ، أو قائمة تكليفات تُحاسب عليها فور قراءتها دون تأخير ، ثم يكون العقاب إن أهمل الإنسان أو تعمَّد النسيان . ولذلك كان أهل المعاصي معاقبين بعدم الانتفاع بالقرآن بسبب هجرانهم له ، وإيثارهم شهواتهم عليه. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ۞ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾]الإسراء : 31-32[

ومما يجب أن تخاف منه أيضا أن تدخل في من عناهم الله بقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾]الجمعة : 5]

قال ابن القيِّم " : فقاس من حمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب ، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتِّباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار ؛ لا يدري ما فيها ، وحظه منها حمله على ظهره ليس إلا ، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره ، فهذا المثل وإن كان قد ضُرب لليهود ، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ، ولم يؤدِّ حقه ، ولم يرعه حق رعايته"